Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الخِذلان في آيات القرآن

صُورُه وأسبابه

Betrayal in the verses of the Qur'an its forms and causes

د. عبد الله بن محمد العسكر

أستاذ التفسير المشارك - قسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية – جامعة الأمير سطام

السعودية – الخرج

الإيميل: alaskarmhmmd@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-03-28 **تاريخ القبول :** 2022-04-09

الملخص :

عنوان البحث : خِذلان الله لعبده في القرآن : صورُه وأسبابه

-الخِذلان هو: أن يخلي الله بين العبد وبين نفسه ، فلا يعرِّفه الحق ، ولا يعصمه من المعصية ، ولا يعينه على الطاعة

.

- وردت ألفاظ الخِذلان في القرآن الكريم بطريقتين :

1- ألفاظٌ صريحة :وهي ألفاظٌ وردت بذكر لفظ الِخذلان صريحاً .

2- ألفاظ غير صريحة :

وهي ألفاظٌ وردت في سياقات مختلفة لكن مؤدّاها - من خلال السياق- مطابقٌ لمعنى خذلان الله للعبد.ومنها :النسيان ، عدم النصرة، الترك .

- من أبرز صورأو علامات الخِذْلان في القرآن:

1- موتُ القلب وضلالُه.

2- الحِرمان من الهداية.

3- تركُ المخذولين ونسيانُهم في أوقات المحن ونزولِ العذاب.

- من أسباب خِذلان الله لعبده:

1- الاجتراء على معصية الله وانتهاك حرماته.

2- طاعة الكافرين والمنافقين.

3- الركون للظالمين .

4- الكِبر .

5- العُجب .

6- اتباع الهوى.

7- الإعراض عن ذكر الله ، ونسيان آياته .

8- التَّعلُّق بغير الله عزوجل.

9- نسبةُ الفضل لغير الله وجحود نعمته.

10- التسويف في التوبة ، والتباطؤ في الاستجابة لأوامر الله.

الكلمات المفتاحية : الخذلان – التوفيق - الترك- النسيان- عدم النصرة.

Abstract:

Title of the Research:

- When would Allah Lets down a person: features and reasons.

(When Allah Lets down) means: Allah leaves a servant alone with his ownself. He will neither acknowledge him the truth nor makes him to understand it. And he will not protect him from his disobedience. And he will not help him.

Letting down in the Qur'an were mentioned in two ways:

1- in a frank words.2- in an unopen words.

both were mentioned in different contexts, but through the context both of them identical to the meaning of Allah's letting down a servant.

For example: Forgetting him, not supporting him, leaving him alone.

Among the most notable images or signs of Allah's letting down a servant in the Qur'an are:

1- Death of the heart. 2- don't guiding him.

3- Leavening him alone and forgetting about him in times of distress and difficulties.

reasons of Allah's letting down a servant:

1- carelessness of obeying Allah.

2- Obeying the kuffar and the hypocrites.

3- Leaning on the oppressors.

4- arrogant.

5- following self desires.

6- delaying al Tawba.

7- not relying on Allah.

8- forgetting Allah.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وأزكى المرسلين ، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإنّ عونَ اللهِ لعبدِه ونصرتَه هو أعظمُ مقصود ، وأرغبُ مَنشود ؛ به تنقضي الحاجات ، وتحلّ البركات .

ومَن كان الله معَه ،فأرشدَه ووفَّقه ، وحماه وأيَّدَه فقد بلغ في الفوز المنتهى ، ونال بذلك أعظمَ المُنى ، وتسنّمَ الدرجات العُلى .

ومن خذله الله وَوَكَله إلى نفسِه أو إلى أحدٍ من خلقه ، فقد باء بالخسران ، وما ظفر إلا بالمذلَّة والهوان.

والمتأمِّلُ في آيات القرآن الكريم يجد آياتٍ عديدة أشارت إلى عقوبة الخِذلان لأولئك المعرضين عن ربهم ، السائرين في دروب الضلالة ، وكيف كانت عقوبةُ الله حين تخلى عنهم ، وحَرَمهم من نصْرِه وتوفيقه ، فباؤوا بالخسارة ، وحرموا خير الدنيا والآخرة.

وقد جاء موضوع الخِذلان في القرآن بصور متنوّعة ، وأشكال مختلفة ، وهي محصِّلةٌ لأسبابٍ عديدة أدّت إلى هذه النتيجة المخزية ، والنهاية البئيسة.

وهذه الصور وتلك الأسباب هي موضوع هذه الدراسة ، التي حاول الباحث فيها استقراء آيات القرآن الكريم ، والتأمّل فيها ، ثم الخروج بنتائج يُرجى أن تكون نافعةً لمعدِّ هذه الدراسة والمطّلعِ عليها ، وهو المقصَد الذي يجب أن لا نحيدَ عنه ، وأن نذكِّر أنفسنا في كلِّ وقتٍ به.

ومن الجدير بالذكر أن الحديث سيكون مقتصِراً على جانبِ الخِذلان الأكبر ، وهو **خذلان الله للعبد** ، وأما الجانب الآخر وهو خِذلان العباد بعضِهم لبعض فلم يجرِ الحديث عنه ، طلباً للاختصار ، ورغبةً في أن يعطى حقَّه في بحث مستقلّ يستوفي جميع جوانبه ، وهو ما لاتسمح به مساحة هذه الدراسة.

والله المسؤول وحدَه أن ينفع بهذا الجهد ، ويجعله خالصاً لوجهه ، نافعاً لعباده وإمائه ، وأن يرزقنا التوفيق والسداد ، ويعيذنا من الخِذلان والحرمان ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على رسول الله وآله وصحبه وسلّم،،،

مشكلة البحث: لمّا كان موضوع خِذلان الله لعبده من أعظم العقوبات ؛ كان من المهم جمع الآيات التي تتحدث عن هذا الموضوع ، ومعرفة صوره وأسبابه ، ليكون المؤمن على حذر من هذه العقوبة .

أهمية البحث وأهدافه: يمكن ذكر أهمية البحث وأبرز أهدافه من خلال ما يلي :

1- إيضاح معنى الخذلان ، واستقصاء جوانبه من خلال آيات القرآن الكريم.
2- بيان صور الخِذلان وعلاماته ، حتى لا يصاب بها المؤمن وهو لا يشعر.
3- تجلية أسباب عقوبة الخِذلان ،والتحذير من الوقوع فيها.

حدود البحث: آيات الخذلان في القرآن الكريم.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي والتحليلي.

الدراسات السابقة: هناك دراسة بعنوان : الخِذلان المعنوي وأثره في صياغة الشخصية (دراسة قرآنية – اليهود أنموذجاً) للباحثة : أمل خميس عبدالقادر .

وتمّ نشر هذه الدراسة في مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات - العدد السابع والثلاثون - أكتوبر 2015م.

وهذه الدراسة ركّزت على بيان مفهوم الخذلان المعنوي ، وأسبابه وصوره ، وأثر هذا الخذلان في صياغة الشخصية اليهودية .

وكما هو ملاحَظٌ فإن الدراسة اقتصرت على الجانب المعنوي للخذلان ، وأثره في تكوين شخصية فئة من البشر وهم اليهود ، بينما هذه الدراسة تناولت جانبي الخذلان المعنوي والمادي بشيء من التفصيل الذي لم يكن في الدراسة المذكورة.

وما عدا ذلك فمن خلال البحث في عدد من المكتبات العلمية وفهارس الكتب ومحركات البحث لم يجد الباحث دراسة وافية حول هذا الموضوع ، سوى بعض الدراسات المقتضبة التي أشبه ما تكون بالمقالات ، منشورة في بعض المواقع ، لكنها لم تأتِ على الموضوع بصورة مفصلة.

خطة البحث:اشتملت خطة هذا الدراسة على مقدّمة وثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول : تعريف الخِذلان وألفاظُه والعقوبةُ به

وفيه ثلاثة مطالب : المطلب الأول : تعريف الخِذلان

المطلب الثاني : العقوبة بالخِذلان

المطلب الثالث :ألفاظ الخِذلان في القرآن

المبحث الثاني: صورُ الخِذْلان وعلاماته

المبحث الثالث: أسباب الخِذلان

أهم النتائج التوصيات

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

المبحث الأول

تعريف الخِذلان وألفاظُه والعقوبةُ به

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

تعريف

الخِذلان

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الخِذلان في اللغة[1].

الخِذْلان - بكسر الخاء- مأخوذٌ من مادّة (خ ذ ل) الّتي تدلّ على ترك الشّيء . وخَذَل يخذُلُ خَذْلاً وخِذْلاناً ، والخاذل: ضدُّ الناصر ، وجمعُه (خُذَّال) ، وخذلَه : تركَ نصرتَه وعونَه . ويُقال : رجلٌ خُذَلَةٌ ، أي : كثيرُ الخِذلان لغيره ، وتخاذل القوم: خذَلَ بعضُهم بعضا.

وقال الرّاغب: "الخِذلان: ترك النُّصرة ممّن يُظنّ به أن يَنصُر"[2].وبنحوه قال ابن الأثير[3].

الفرعالثاني :الخِذلان في الاصطلاح .

كما سبقت الإشارة في مقدمة هذه الدراسة إلى أن الحديث هنا سيكون عن خِذلان الله لعبده ؛ وعليه فقد جرى تفاوتٌ بين العلماء في بيان المراد بذلك ، إلا أن محصِّلة هذه التعريفات للخذلان يدور حول تركِ اللهِ للعبد ، وعدمِ نصرته.

ومن أحسن التعريفات ما حكاه ابن القيم - رحمه الله - بقوله :" وقد أجمع العارفون بالله أن التوفيق: هو أن لا يكِلكَ اللهُ إلى نفسك، وأن الخِذلان: هو أن يخلي بينك وبين نفسك"[4].

ومن تعريفات الخِذلان : أن لا يعصم اللهُ عبدَه من السوء[5].

ومنها عدم التوفيق والإعانة على طاعة الله ، وترك العبد مع نفسه[6] .

المطلب الثاني

العقوبة بالخِذلان

(1) انظر في معنى الخِذلان في اللغة إلى : العين ، الخليل بن أحمد (4/ 244) ، تهذيب اللغة ، الأزهري (7/ 140) ، الصحاح ، الجوهري (4/ 1683) ، لسان العرب، ابن منظور (11/ 202) مادة (خَذَلَ) .

(2) انظر :المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني (ص277).

(3) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (2/ 16) مادة (خذل) .

(4) مدارج السالكين ، ابن القيم (1/ 415).

(5) انظر : العين (4 /244) ، تهذيب اللغة(140/7).

(6) انظر : الكليات ، الكفوي (ص310). وسيأتي الحديث عن هذا المعنى وغيره في مبحث : علامات الخذلان .

حاجة العبد لمولاه أشدُّ من حاجته للطعام والشراب ، فلا غنى عن الله ، ولا استغناء عن فضله ، وكيف يكون ذلك وكلُّ خيرٍ إنما هو من الله ؟!

ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم :" ولا تَكلني إلى نفسي طَرفَة عَين"[7].

وحاجة العبد إلى ربه - كما يذكر ذلك ابن القيم- كحاجة الطفل المولود إلى من يحفظه ويرعاه ، وإذا وكل الله العبد لنفسه وَكَله إلى ضعفٍ وعجز وضياع ، فكان هلاكهُ أقرب إليه من شراك نعله![8].

وأعظم عقوبات الله لعبده أن يتخلى عنه ، وأن يخذله في مواطن الحاجة ، وحينها فمَن ينصره من بعد الله ؟!

وإذا تخلى الله عن عبده احتَوَشَته الشياطينُ وأحاطت به ، فلا تسل حينها كيف سيكون حالُه من الذلة والهوان والبؤس والخسران!

لأجل ذلك كان من كمال النعمة تعريف العبد بهذا الأمر ، حتى لا يغترَّ بما أوتي فينسى ربّه ، ويُعرِض عن مولاه ، فيشقى شقاء لا سعادة بعده.

المطلب الثالث

ألفاظ الخِذلان في القرآن

من خلال استقراء آيات القرآن الكريم يمكن حصر الألفاظ الدالة على معنى الخذلان في نوعين من الألفاظ:

1- ألفاظ صريحة :

وهي ألفاظٌ وردت بذكر لفظ الخِذلان صريحاً ، وقد جاءت في ثلاث آيات على النحو التالي:

- قال تعالى: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[آل عمران: ١٦٠].
- وقال تعالى: لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا[الفرقان: ٢٩].
- وقال تعالى: لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا[الإسراء: ٢٢].

2- ألفاظ غير صريحة :

وهي ألفاظٌ وردت في سياقاتٍ مختلفة لكن مؤدّاها - من خلال السياق- مطابقٌ لمعنى خذلان الله للعبد. من مثل قطع اللهِ فضلَه عن عبده ،فلا ينصره ، ولا يستجيب لدعائه ، ولا يبارك له فيما آتاه ، ونحو ذلك من صور الخِذلان التي سيأتي الحديث عنها بإذن الله.

والألفاظ التي تؤدي معنى الخذلان في القرآن كثيرة ، ومنها :

1- النسيان : أي نسيان الله للمخذولين ، ومن أمثلته : قوله تعالى : الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ[التوبة: ٦٧].

وقوله تعالى وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ[الجاثية: ٣٤].

والمقصود بنسيان الله هنا ليس العجز عن التذكّر -معاذ الله- وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا[مريم:٦٤] ، وإنما هو تركهم في العذاب وقد حُرموا من كل خير[9].

2- عدم النصرة :وهو كثير في القرآن ، ومن أمثلته : قوله تعالى : وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ[العنكبوت: ٢٥].

وقوله تعالى: فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ[الطارق: ١٠].

(7) رواه أحمد في المسند ، (34/ 74) ، حديث رقم (20430) ، وابن أبي شيبة في المصنف (20/6) ، حديث رقم (29154) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص368) ، حديث رقم (701)، وأبو داود ،كتاب أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح ، (4/ 324) ، حديث رقم (5090) ، عن أبي بكرة - رضي الله عنه -. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2/ 361) ، حديث رقم (1823) ، وشعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (34/ 74).

(8)انظر: مفتاح دار السعادة ، ابن القيم (1/ 288).

(9) انظر : دفع إيهام الاضطراب ، الشنقيطي (ص102).

3- الترك : إما بلفظ (تَرَكَ) كما في قوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴿البقرة: ١٧].

أو بلفظ (نَذَرُ) كمافي قوله تعالى: وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ[الأنعام: ١١٠].

ولا يعني ذكر هذه الألفاظ حصر معنى الخذلان فيها دون سواها ، وإنما هي أمثلةٌ فقط ، وإلا فهناك آيات كثيرة - كما سياتي بيانُه- توحي بمعناها العام إلى معنى الخذلان الذي جرت الإشارة إليه.

المبحث الثاني

صورُ الخِذْلان وعلاماته

خِذلان الله للعبد له صورٌ متباينة ، وعلاماتٌ مختلفة ، قد يظهر بعضها واضحاً جليّاً ، وقد يكون بعضها الآخر غامضاً خَفيًّاً ، فيكون العبدُ مغموساً في العقوبة وهو لايدري! وهذا من أشدّ العقوبة كما ذكر ذلك ابن الجوزي[10].

ومن خلال استقراءِ عَددٍ من آيات القرآن الكريم يمكن استخلاصُ أبرزِ علامات خذلان الله لمن شاء أن يعاقِبه من عباده ، وذلك من خلال ما يلي :

1- موتُ القلب وضلالُه:

والقلب هو سيّد الأعضاء ، وبصلاحه يصلح الجسد أو يفسُد ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله :"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب[11].

وحين يفسد القلب فلا قيمة للجسد ؛ وصاحبُ هذا القلب إنما يربّي جسدَه ليكون حطباً من حطب جهنم - عياذاً بالله- . والحياة الحقّة هي حياة النفس وصلاحُها واستقامتُها على جادّة الحق.

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلبُ الرّبحَ مما فيه خُسرانُ؟!

أقبِل على النفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ[12]

وفي هذا المعنى يبيّن الله حال مَن ماتت قلوبُهم مع سلامة أجسادهم بأنهم كالبهائم ؛ بل هم شرٌّ منها! قال تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴿الأعراف:١٧٩].

وصورُ موت القلب وضلالِه في القرآن كثيرة ، وكلُّها من عقوبات الله وخِذلانه لمن خالف أمره ، وحاد عن شرعه . ومن ذلك:

أ- الختم على القلب والطبعُ عليه:

يقول الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ[البقرة:٦- ٧].

وقال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴿النحل: ١٠٨].

وإذا ختم الله على القلب فلا يمكن أن ينفذ إليه الخير والإيمان ، وإنما يكون مستودعاً للضلالة ومسرحاً للشيطان .

وإذا طُبع عليه ، صار مقفلاً ، فلن يستوعبَ خيراً ، ولن يعيَه ، ودليل ذلك قوله تعالى أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا[محمد: ٢٤][13].

ولا يكون هذا القفلُ وذلك الطبعُ والختمُ على القلب إلا إذا صار صاحبه ممن كتُب عليه الشقاءُ لكونه ليس أهلاً للهداية ،

(10) انظر : صيد الخاطر ، ابن الجوزي (ص27) .

(11) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ،(20/1) ،حديث رقم (52) ، ومسلم ،كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (3/ 1219) ، حديث رقم (1599) عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه -.

(12) البيت من البسيط ، وهو لأبي الفتح البستي ، وانظره في : حياة الحيوان الكبرى ، الدميري (1/ 250) ، الكشكول ، الهمذاني ، (1/ 240) .

(13) انظر : الكشف والبيان ، الثعلبي(3/ 93).

ولو كان أهلاً لها لانتفع بما يسمع من آيات الله ، ولكنّ الأمر كما قال الله: وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴿الأنفال: ٢٣].

ب- قسوة القلب والغفلةُ عن الآخرة.

وهذه عقوبة أخرى ، وهي من أشدّ العقوبات التي يبتلى بها المرء.

قال مالك بن دينار :"ما ضُرب عبدٌ بعقوبةٍ أعظم من قسوة القلب"[14].

إنك ترى صاحب القلب القاسي لا تؤثر فيه موعظة ، ولا تنفع فيه نصيحة ، يرى من الحوادث والوقائع ما ترتجف له القلوب وتخشع ، ويسمع من المواعظ ما يزلزل الجبال عن أماكنها ، وهو سادرٌ في غَيّه ، غارقٌ في وحل معصيته ، لم تؤثّر فيه تلك الزواجر ، ولم تهزّ قلبَه تلك القوارع! أليست هذه عقوبةً من الله وخِذلانالمعبده ؟!

ولهذا نهانا الله أن ننصرف عن وحيه وأمره ، وأن لا نعتبر بما نرى ونسمع ، فنصابَ بهذه العقوبة كما أُصيب مَن قَبلَنا بها . قال جل وعلا : أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ[الحديد: ١٦].

2- الحِرمان من الهداية:

وهذه العلامة من علامات الخِذلان هي فرعٌ عن العلامة السابقة ، فمتى خُتم على القلب ، وطُبع عليه فأنى له أن يهتدي إلى الحق ؟! وكيف يمكن أن يبصر سُبل الهدى ؟!

ويتجلّى الحرمان من الهداية في صورٍ من الخِذلان ، منها :

أ- بغضُ الطاعة واستثقالُ فعلِها ، وحُبُّ المعصية واستسهال معاقرتها.

فترى ذلك المخذول يكره الحديث عن الطاعات ، ويستثقل القيام بها . لا يحبُّ مجالس الذكر ، ولا يأنس لكلام الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، إن سمعَ موعظةً أعرض عنها ، وهرب منها ، فحالُه كمَن ذَكّرهم الله تعالى بقوله: فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ، كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴿المدثر: ٤٩ – ٥١].

يضيق صدره لسماع الآيات ، ويطرب وينتشي لسماع اللغو وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ[الزمر: ٤٥].

تراه جَلِداً في أمور دنياه ، كسولاً متماوتاً في أمر أُخراه ، يُقدِم على كلّ ما تشتهيه نفسُه ، ولو كان في ذلك أعظم الجُهد والمشقّة ،ويستصعب فعل الطاعة ،ولو كانت يسيرة لامشقة فيها! فهو-كما في الأثر - صخابٌ في الأسواق ،جيفةٌ بالليل ، حمارٌ بالنهار ، عالمٌ بأمر الدنيا ، جاهلٌ بالآخرة![15]

وكلُّ هذا من الخِذلان ، وقد سبقأن من تعريفات الخِذلان:عدم التوفيق والإعانة على طاعة الله ، وترك العبد مع نفسه[16].

فالتوفيق والخذلان كلُّه من الله تعالى .كما قال الله جلَّ وعزّ: فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴿الشمس: ٨].

قال ابن زيد :"جعل فيها ذلك، يعني: بتوفيقه إياها للتقوى ، وخِذلانه إيّاها للفجور"[17].

وما خَذَلَهُ الله إلا لهوانه عليه! وذلك أنه استخفَّ بمقام ربّه ، ولم يسارع لمراضيه ، فسقط من عين الله ، وزاغ عن درب الهداية أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى

(14) انظر : الزهد ،أحمد بن حنبل (ص259) ، صفة الصفوة ، ابن الجوزي (2/ 169) .

(15) روي في ذلك حديثٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يصحّ . انظر : الفردوس بمأثور الخطاب ، الديلمي (153/1) ، حديث رقم (558) ، السلسلة الضعيفة ، الألباني (5/ 328) حديث رقم (2304) .

(16) انظر (ص 7).

(17) انظر :الكشف والبيان (29/ 420) ، معالم التنزيل، البغوي (438/8) ،زاد المسير ، ابن الجوزي (451/4).

سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿الجاثية: ٢٣﴾.

قال الحسن البصري :" هانوا عليه فعَصَوه ، ولو عزُّوا عليه لعَصَمهم"[18].

إن من ينقبض قلبُه عن فعل الخير ، وينشرح ويُسرُّ لفعل الحرام قد هوى في بحر الضلالة ، وسقط في مستنقعاتها الآسنة. ولا يصل المرء إلى هذه المرحلة المتردية إلا إذا أعرض عن الله فعوقب بأن أوردَه الله هذه الموارد.

ولذلك كان من جملة ما أنعم الله به على عباده المؤمنين أن زيّن في قلوبهم الطاعة وكرَّهَ إليهم المعصية. قال الله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴿الحجرات: ٧﴾.

وبهذا يُعلَم أن عمل الطاعة والإقبال عليها توفيق ، كما أنّ بغضَها أوالتثاقلَ في فعلها خِذلان!

ولمّا لقيَ بعضُ الصالحين فتىً فرأى منه كسلاً عن قيام الليل ، بينما كانت أختُه تحيي الليل كلّه بالقيام ، لامَه على ذلك وقال : أنت أحقُّ بهذا القيام من أختك ، لأنك رجلٌ وهي امرأة - أي أنك أقدرُ على العبادة منها -، فأجابه ذلك الفتى بقوله : أما علمتَ أنه موفَّقٌ ومخذول! [19]

ب- تقبيحُ الحسنِ ، واستحسانُ القبيح.

وهذه صورة أخرى من صور الخذلان ، وشعبةٌ من شعب الضلالة ، حين تختلط على هذا المخذول الأمور ، وتنقلب لديه الموازين ، فيرى الحقَّ باطلاً ، والباطلَ حقاً . كما قال الله جلّ شأنه: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴿فاطر: ٨﴾ .

قيل لمحمد بن كعب القرظي: ما علامة الخِذلان ؟ قال: " أن يَستقبح الرَّجل ما كان عنده حسنًا، ويَستحسن ما كان عنده قبيحًا"[20].

وحكى الله عن أولئك المخذولين بأنهم يعتقدون أن المؤمنين على ضلالة ، فإذا رأوهم قالوا: وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ[المطففين: ٣٢].

وأخبر عن قوم نوح أنهم قالوا له: الَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ الأعراف: ٦٠].

وكان فرعون الذي يَقتل الولدان ، ويستحيي النساء ، ويصلّب الرجال في جذوع النخل ، ويدعي الألوهية ، يقول عن نبي الله موسى التقيّ الصالحِ المصلحِ : وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ [غافر: ٢٦].

فموسى هو المفسِد في نظر فرعون ، وأما هو فالمصلحُ العادل!

لقد كان فرعون ممّن زُيِّن له سوء عمله ، وصُدَّ عن السبيل ، نكايةً من الله به ، وخذلاناً له ، لأنه أعرض عن الحق ، وتمادى في الباطل . وإلاّ فما تفسير أن يَرى هذا المأفونُ آياتِ نبوءة موسى واضحاتٍ وضوحَ الشمس في رابعة النهار ، ومع ذلك لايؤمن به ؟! قال الله عنه وعن قومه وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿الزخرف: ٤٨﴾.

ج- التمادي في الباطل ،والاغترارُ بالنِّعم :

وهذه صورة أخرى من صور حرمان الهداية ، وهي نتيجة حتميّة للصورة السابقة ؛ فإن ذلك المخذول حين استحسن القبيح ، وزُيِّن ذلك في نفسه ، فمن المؤكّد أنه سيستمرّ في غيّه ، ويتمادى في باطله . وكلُّ هذا من مكر الله به ،وخِذلانه إياه.

ولأن الله خذَلَه لم يُعِنه على نفسه ، فتراه لا يخرج من معصيةٍ إلا انغمسَ في أخرى . قال بعض السلف: "ليست اللعنة

(18) انظر :ذم الهوى ، ابن الجوزي (ص150) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، الهيتمي (1/ 23).

(19) انظر القصة بتمامها في : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ابن حبان البستي (ص260) ، صفة الصفوة ، ابن الجوزي (1/ 462).

(20) انظر : حلية الاولياء ، أبو نعيم (3 / 214) ، تاريخ دمشق ، ابن عساكر (55/ 147) ، تاريخ الإسلام ، الذهبي (253/7) .

سواداً في الوجه ونقصاً في المال ؛ إنما اللعنة أن لا يَخرج من ذنب إلا وقَعَ في مثلِه أو شرٍّ منه"[21].

ولايزال ذلك المخذول يعاقر الذنوب،ويخبط في المعاصي حتى يحلَّ به عذابُ الله ومقتُه وهو لا يشعر! قال تعالى: فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[القلم:٤٤-45].

واستدراج الله لهم ما كان ليكون إلا لأنهم أعرضوا عن الله ، ونسوا آياته ، مع كثرة ما جاءهم من البينات والنُذُر ، فلما كان منهم الإعراض أعرض الله عنهم ، وخذلهم ، وخلى بينهم وبين أنفسهم ، ثم فتح عليهم من الدنيا ما جعلهم يغترّون بما هم فيه من الضلالة ، ويتمادون في عصيانهم وفجورهم ، وبعد ذلك جاءهم عذاب الله من حيث لا يشعرون ، كما قال جلَّ شأنهفَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: ٤٤-45].

يقول صلى الله عليه وسلم:"إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب،فإنما هو استدراج"ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية السالفة﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ[الأنعام-٤٤]﴾[22].

فنعوذ بالله من مكرِه واستدراجه.

د- الحيرة والتخبط في الضلالة.

وهذه صورة رابعةٌ من صور الحرمان من الهداية لأولئك المخذولين ؛ حين لا يكون لهم بصيرةٌ من الله ، فتراهم يتخبّطون في ظلمات الحيرة والشك ، لا يميزون بين حق وباطل ، ولا يعرفون إلى أين يسيرون ، ولا إلى أي نهاية سيصلون ، يتلمسون درب النجاة وسبيلَ الخلاص فلا يجدونه ، وهيهات أن يُدركوه وقد تخلى الله عنهم ،ولم يُرِد هدايتَهم يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ[المائدة:41].

إن الهدايةَ للحقِّ محضُ فضلِ الله على عبده ، ومتى ما خَذَلَه الله فلم يوفقه لها فلن يكون إلا في ضلال مبين . قال الله تعالى : وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ، الشورى: ٤٤].

وقد ضرب الله تعالى في كتابه الكريم مثلاً لحال أولئك المخذولين، وهم في حيرتهم وتخبّطهم بعد أن سلبهم عنايته ، وتركهم في حيرتهم وضلالهم ،فقال سبحانه : مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، البقرة: ١٧-18].

فترْكُهم في الظلمات خِذلانٌ وأيّ خذلان! وأنى لهم أن يبصروا الطريق وليس معهم نورٌ من الله يضيء لهم هذه الظلمات المتراكمة؟! وأيّ قوة بشريّة يمكن أن تنقذهم مما هم فيه والله،لم يُرِد ذلك لهم؟ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ[النور: ٤٠].

وإن من أعظم العذاب أن يعيش المرء في شكٍّ من أمرِه ، متحيّراً لا يدري أهو على ضلالة أم على هدى! وكم من أقوامٍ أدى بهم ذلك إلى نهايات مفجعة ، وصل بعضها إلى الانتحار نتيجة القلق والاكتئاب الذي كانوا يلقونه بسبب هذه الحيرة.

3- تركُ المخذولين ونسيانُهم في أوقات المحن ونزولِ العذاب:

والمرء مهما بلغ من القوة والمَنَعة والجاه فهو ضعيف عاجزٌ إن لم يكن الله معه.

وقد تمرُّ بالإنسان في حياته محنٌ كثيرة ، فلا يجد غيرَ الله ملجأً يفرّ إليه ، لأن البشر قد عجزوا عن إنقاذه وتفريج كربه.

وهذه الحقيقة يقرُّ بها حتى المشركون بالله ، وذلك حين يضيق بهم الحال ، ويشتدّ عليهم الكرب ، حينها لا يفزعون إلا إلى الله لعلمهم أنه وحدَه من سينقذهم ، كما قال جلّ شأنه : قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام: ٦٣ – ٦٤].

(21) انظر :قوت القلوب في معاملة المحبوب ، أبو طالب المكي (1/ 311) ، إحياء علوم الدين ،الغزالي (4/ 53) .

(22) رواه أحمد في المسند (28/ 547) ، حديث رقم (17311) ، وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر (ص16) ، حديث رقم (32) ، والطبراني في الأوسط (9/ 110) حديث رقم (9272) ، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 298) حديث رقم (4220) عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه -. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (773/1) ، حديث رقم (413).

وإن الله بلطفه ليُنعم على عباده حتى على العصاة منهم ! لعلهم أن يعودوا إليه ، ويعرفوا فضله وحقّه عليهم ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون!

ومن كرمه تعالى أنه لا يخذل أولياءه في أوقات الشدائد والكروب ، كما أن من عدله جل شأنه أن يخذل من أعرض عنه وحاد عن شرعه ، جزاء وفاقا. فالنصرُ والخِذلان من الله وحده ، قال تعالى: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [آل عمران: ١٦٠].

وقد نصرَ الله أولياءه في أماكن وأزمنة كثيرة كما قال سبحانه لصحابة رسوله صلى الله عليه وسلم: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴿التوبة:25-26].

وكما نصرهم في حنين فقد نصرهم في بدر قبل ذلك، وكانوا قلّةً مستضعفين . قال جل وعلا : وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿آل عمران: ١٢٣].

وفي مقابل نصرِ الله لأوليائه في بدر فقد خذل أعداءه ، وأذلّهم وأذاقهم فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ[فصلت: ١٦].

يقول الله تعالى: حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (64) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴿المؤمنون: ٦٤ – ٦٥].

وقد حكى الله لنا في كتابه حال بعض المخذولين ممن أحسن الله إليهم ، وأسبغ فضله عليهم ، فما زادهم إلا عتوّاً واستكباراً ، حتى إذا نزل بهم بأسُه ، وأحاطت بهم نقمتُه استغاثوا به ، وفزعوا إليه ، وآمنوا فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴿غافر: ٨٥].

ومن أولئك المخذولين الطاغيةُ الجبار فرعون ، الذي وصل به الجبروت والطغيان أن قال: أنا ربكم الأعلىوَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ، فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ[القصص: ٣٩ – ٤٠].

وفي ساعة الغرق ، لما أدرك فرعونُ أنه هالكٌ لا محالة استغاث بالله ، ولكن هيهات! لقد مضى زمن التوبة ، وأُوصِدت أبوابُها ، فكان الخِذلان من الله له آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴿يونس: ٩١].

وأمثال فرعون من المخذولين كثير ، خذلهم الله عند الموت ، وهم أحوج ما يكونون إليه ، وتلك عقوبةٌ من الله لهم ، لأن من نسيَ الله نسيَه ، ومن أعرض عنه خذَله ومقتَه . ومن سينجيه من بأس الله حينها ؟! قال الله تعالى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ، وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴿الأنعام:93-٩٤].

وأعظمُ الخِذلان وأشدُّه ألماً وعذاباً ما يكون للعصاة يومَ القيامة ، وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿غافر: ٥٢].

هناك حين ينصرف كلُّ امرئٍ إلى خاصة نفسه ، ولا يَعْنيه إلا نجاتُه من أهوال ما يرى في ذلك اليوم العصيب ، الذي تفزع فيه الخلائق ، وكلٌّ يقول : نفسي نفسي ، لا أسألك ربّ غير نفسي ، ودعاء الرسل يومئذٍ :اللهم سلِّم سلِّم!

ولا ينجو في ذلك اليوم من عذاب الله إلا من رحمه الله ورضي عنه مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿الأنعام: ١٦]. نسأل الله رحمتَه ورضوانَه.

أما الظالمون المعرضون عن الله فليس لهم في ذلك اليوم إلا الخزي والعذاب والأليم ، وذلك حين يخذلهم الله فلا يستجيب دعاءهم ، ولا يرحم بكاءهم وجؤارهم ، وهذا - وربِّ الكعبة- هو الخزي العظيم. قال الله تعالى: وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ، وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴿الشورى: ٤٥ – ٤٦].

وما كان هذا الخذلان من الله لهم إلا لأنهم نسوا ربهم في الدنيا فنسيهم في الآخرة وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ، ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ[الجاثية: ٣٤ – ٣٥].

المبحث الثالث

أسبابُ الخِذلان

التوفيق والخذلان ليس قَدَراً مجرّداً ؛ بل هو من كمالِ حكمةِ الله ومشيئته التي اقتضت توفيق عبدٍ وخِذلانَ آخر.

وقد أشار ابن القيم- رحمه الله- إلى هذا المعنى ، وأبانَ أن التوفيق والخذلان إنما يكون على وجه العدل والحكمة ، ولا يحدث اتفاقاً بمحض المشيئة المجردةِ عن وضع الأمور في مواضعها[23].

ومن تمام فضل الله وعدله أنه لا يخذل عبداً أقبل عليه ، وأناخ قلبه بين يديه ، وإنما يحصل الخِذلان لمن أعرض عن ربّه، واستغنى بزعمه عنه ، فإذا كان منه ذلك فالله غنيٌّ عنه ، ولا يضرّ العبدُ إلا نفسه مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ[فصلت: ٤٦].

إن الإقبال على الله تعالى،وإسلامَالقلب له ، واتباعَ شرعه هو سببُالفوز والتوفيق. كما أن البعد عنه ،والاجتراءَ على حرماته مؤذنٌ بحدوث الخذلان والخسران[24].

هذا من حيث الإجمال .أما من حيث التفصيل فأسباب الخِذلان كثيرة ،يمكن الإتيان على جملةٍ منها من خلال استقراء آيات الله تعالى في كتابه الكريم ، ومن تلك الأسباب:

1- الاجتراء على معصية الله وانتهاك حرماته:

والمعصية سببُ كلِّبلاء ، فهي تعمي القلب ، وتمنع الخير عن العبد ، وتُؤذِنُ بخراب الديار ، وتمحقُ البركة ، وتستَجلبُ سخط الله وعذابَه[25].

وبسبب الذنب يكون خِذلانُ اللهِ للمذنب ، عقوبةً له على فعله ، وجزاءَ ما اقترفته يداه.

قال الله تعالى : أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿الأعراف: ١٠٠].

والطبعُ على القلب أحدُ صور الخِذلان - كما سبق بيانه- ، وسبَبُه كما في صريح الآية فِعلُ الذنوب.

والذنوب شُعبٌ شتى ، ودهاليزُقِددا ، إلا أن أفحَشَها وأوحشها الشركُ بالله ، وهو الظلم العظيم الذي عناه الله بقوله : وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴿لقمان: ١٣].وأيُّ ذنبٍ أعظمُ من ذلك ؟!

سأل عبدُالله بن مسعود النبيَّ صلى الله عليه وسلم : أيّ الذنب أعظم؟ فقال : "أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك"[26].

وقد بيّن الله تعالى في كتابه أن من اتخذ معه إلهاً آخر عوقب بالخذلان فقال سبحانه ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴿الإسراء: ٢٢].

فالذي اتخذ مع الله إلهاً مذمومٌ غيرُ محمود -وهل يُحمد الظالمُ على ظلمه ؟!- مخذولٌ غيرُ منصور، وأنى لمخلوقٍ أن ينصرَ غيرَه ويمنعه من بأس الله إن جاءه، وهو عاجزٌ عن دفع ذلك عن نفسه؟! وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴿الأعراف: ١٩٧].

وفي تحدٍّ صارخ لأولئك المشركين يأمر الله كل من اتخذ إلهاً غيره أن يدعوه ويستنجد به إذا نزل به كربٌ أو أحاط به بأس ، ليعلم حينها ضعفَ مَن يدعوه ، وهُزالَ من يرجوه ، وأنه لا يملك من أمر هذا الكون مثقال ذرّة! قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا

(23) انظر :مدارج السالكين (1/ 147).

(24)انظر : التفسير القرآني للقرآن ، عبدالكريم الخطيب (6/ 1255).

(25) أشار ابن القيم إلى عدد من عقوبات المعاصي يمكن الرجوع إلها في كتابه :الجواب الكافي (ص77) وما بعدها .

(26) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب قتل الولد خشية أن يأكل معك ، (8/8) حديث رقم (6001) . ومسلم، كتاب الإيمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب، (1/ 90) ،حديث رقم (86).عن عبدالله بن مسعود-رضي الله عنه-.

يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾[سبأ: ٢٢].

وفي الأزمات والحروب يخذل الله المشركين ، وينصر عبادَه المؤمنين . قال الله تعالى : سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[آل عمران: ١٥١].

قال الواحدي :" قال المفسرون :هذا وعدٌ مِن الله لعباده المؤمنين بأن يخذل أعداءهم بالرُّعب"[27].

ويستمرّ مسلسل الخذلان لأولئك المشركين حتى في أحلك الظروف ، وأصعب الساعات ، وذلك حين يحضر الأجل ، وتدنو ساعة الرحيل من هذه الدنيا ، فينكشف الغطاء ، ويذهب الزيف ، ويتهاوى كل باطل ،مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[الأعراف:37].

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ[الأنعام: ٩٤].

ومن احتمى بغير الله ولاذَ به وكَله الله إليه ، وتخلى عنه ، وحينها لا تسل عن خزيه وخسارته!

وأعظم الخزي لأولئك المشركين خذلانُ الآخرة، حين يلقون ربّهم ساخطاً عليهم ، طارداً لهم من رحمته ، قد هيأ لهم في جهنم نزلاً ، يُلقَون فيها مَلومين مَدحورين ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾[الإسراء: ٣٩].ويالها من نهاية بائسة ، وخزي لا يضارعه خزي!

يصوّر الله مشهداً من مشاهد يوم القيامة يتجلى فيه خذلان الله لمن أشرك به ؛ بل وخذلان آلهة المشركين المزعومة للذين اتخذوهم شركاء ، ليزيد بذلك عذابَهم ، ويعظم ندمُهم ومصابُهم. قال الله تعالى: وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[العنكبوت: ٢٥].

وقال سبحانه : وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ[الجاثية: ٣٣ – ٣٤].

وحين يستجيرون بربهم: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ[المؤمنون: ١٠٧] يأتيهم الجواب المروّع: قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: ١٠٨].ثم تنقطع صلتهم بالله فيُحجَبون عنه كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥].فأي خذلان أعظم من هذا؟!

2- طاعة الكافرين والمنافقين:

وهذا أحد أسباب الخِذلان ، لأن طاعة هؤلاء معصيةٌ لرب العالمين .

ومن أطاع الكافرين والمنافقين فقد عرّض نفسه للهزيمة والخسران المبين ،حيث يتخلى الله عنه ، ويترك نصرته ، لأنه عصى ربَّه ، وخالف أمرَه. قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٩].

وقد اختلف المفسرون في المقصود بالكافرين في الآية ؛ فقيل : هم الوثنيون ، وقيل : المنافقون ، وقيل: هم اليهود والنصارى[28].

ولا يمنع أن يكون المرادُ كلَّ كافر ،سواء أكان ظاهرَ الكفر كالمشركين واليهود والنصارى ، أو مبطناً له كالمنافقين[29].

(27) انظر : التفسير البسيط ، الواحدي (6/ 60) .

(28) انظر : الكشف والبيان (9/ 326) ، معالم التنزيل ، البغوي (2/ 117) ، المحرر الوجيز ، ابن عطية (522/1) ، زاد المسير (1/ 333).

(29) وهو اختيار ابن عطية في : المحرر الوجيز (522/1) ، والرازي في : مفاتيح الغيب (9/ 383) .

وإذا كان الله هو مولى المؤمنين فهو ناصرهم ، ولن يحتاجوا معه إلى نصرة أحد وولايته[30].وشتان بين نصرة الله ونصرة المخلوقين بعضهم لبعض[31].

3- الركون للظالمين.

ومما يدلُّ على أن الركون للظالمين أحدُ أسبابِ الخِذلان قول الله تعالى: وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ[هود: ١١٣].

فمن ركن للظالم استحقَّ عذاب النار ، واستحقَّ الخذلانَ من الله ، وترْكَ نصرتِه.

والمراد بالركون للظالمين :الرضا بأعمالهم ، والميل إليهم ، والقرب منهم ، وهو قول ابن عباس ، وأبي العالية[32].

وقيل : مداهنتهم ومجاراتهم على باطلهم ، وهو قول السدي وابن زيد[33].

وكلا الأمرين صحيحٌ .فالركون للظلمة معناه شاملٌ للقرب منهم ، والرضا بصنيعهم ، ومجالستهم من غير إنكارِ باطلهم ، ومدحهم والثناء عليهم ، والتزيِّي بزيِّهم ، ونحو ذلك[34].

قال عبدالملك بن مروان :"مَن قرَّب السّفلَة واطَّرح ذوي الأحساب والمروءات استحقَّ الخِذلان"[35].

وقد يكون الركون للظالمين طمعاً في نصرتهم ،واغتراراً بقوّتهم ، وظنّاً ممن ركن إليهم أنهم سيمنعونه من وقوع البلاء عليه، وحصول الهزيمة به. ومن ظنّ ذلك فقد أساء الظن بالله ، فكان أهلاً لخذلان الله له.

من يتقي الله يحمد في عواقبه ويكْفِهِ شرَّ من عَزُّوا ومن هانوا

من استعان بغير الله في طلب فإن ناصرَه عجزٌ وخِذلانُ[36]

4-الكِبر:

والكِبرُ من أحقر الأدواء ، وأقبح الخِلال ، لا يتصف به إلا أراذلُ الخلق ، وأسافلُ الناس!

والمتكبرون من أبغض عباد الله إلى الله ؛لأن المتَّصفَ بالكِبر قد نازع الله في صفةٍ لا ينبغي أن تكون إلا له تعالى .

قال صلى الله عليه وسلم :"العِزُّ إزاره، والكبرياءُ رداؤه، فمن ينازعني عذَّبتُه"[37].

والمتكبّر مخذولٌ من ربّه ، لا يكون معه ، ولا يهديه ، بل يدعه ونفسَه ، فهوي في بحار الضلالة ، ويتخبّط في ظلمات التّيه والبوار.

يدلّ على ذلك قول الباري جلّ شأنه : سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ[الأعراف:١٤٦].

وأخبر تعالى عن خِذلانه للمتكبرين عند الموت ، وملائكةُ الله تَنزع أرواحهم الخبيثة ، التي تجذّر فيها الكِبرُ فصدَّها عن قبول آيات الله ، والسير على صراطه المستقيم . قال سبحانه وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ

(30) انظر : الكشاف ، الزمخشري(1/ 425) .

(31)ذكر الفخر الرازي أوجها عديدة بديعة في بيان الفرق بين نصرة الله ونصرة المخلوقين ، يمكن الرجوع إليها في:مفاتيح الغيب (9 /384) .

(32) انظر : جامع البيان (15/ 500) ، الكشف والبيان (14/ 464) ، الهداية الى بلوغ النهاية ، (5/ 3479) ، النكت والعيون ، الماوردي (2/ 508).

(33) انظر : الكشف والبيان (14/ 464) ، النكت والعيون (2/ 508) ، التفسير البسيط (11/ 577).

(34) انظر : لطائف الإشارات ، القشيري (2/ 161) ، الكشاف ، (2/ 433) ، مفاتيح الغيب (18/ 407) ، غرائب القرآن ، النيسابوري ، (4/ 56).

(35) انظر : سراج الملوك ، الطرطوشي (ص74) ، المستطرف في كل فنّ مستظرَف ، الأبشيهي (60/1) .

(36) البيتان من قصيدة أبي الفتح البستي السالفة الذكر . انظر (ص11)هامش (3).

(37) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الكبر (4/ 2023) حديث رقم (2620) عن أبي هريرة وأبي سعيد - رضي الله عنهما - . قال محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على صحيح مسلم (4/ 2023) :" (العز إزاره) هكذا هو في جميع النسخ فالضمير في (إزاره) و (رداؤه) يعود إلى الله تعالى للعلم به ، وفيه محذوف تقديره : قال الله تعالى : ومن ينازعني ذلك أعذّبه".

قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ، وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ[الأنعام:93-٩٤].

5-العُجْبُ :

والعُجب نوعٌ من الزهوِ والغرور بالنفس أو العمل .

وقد عرّفه الجرجاني بأنه : " تصوُّرُ استحقاقِ الشخصِ رتبةً لا يكون مستحِقّاً لها "[38].

وقد يرى ذلك المعجَب بنفسه أو عمله الذي قدّمه أنه قد استغنى بذلك عن معيّة الله له ،أو نصرته ؛ فحينها يكون من المخذولين.

ولقد حكى الله عن حالةٍ من العُجب أصابت بعضَ المسلمين في غزوة حنين ، حين رأوا أن عدَدهم كبير ، وعتادَهم كثير ، فقال قائلهم: لن نُغلَب اليوم من قِلّة![39]فكانت النتيجة أن خُذلوا فوقعت الهزيمة .ولكنَّ الله تعالى تدارك برحمته رسولَه صلى الله عليه وسلم والبقيةَ الباقية من كرام الصحابة من الذين بايعوه تحت الشجرة ، فنصرهم الله ، وثبتهم بعد أن ضاقت عليهم المضائق ، واشتدت بهم الكروب.

قال الله تعالى في شأن ذلك : لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ[التوبة: ٢٥-26].

إذاً فقد كان سببُ الخِذلان في هذه الغزوة هو العُجب والغرور ، والله لا يرضى من عبده أن يكون معجباً بنفسه،مُدِلًّا على الله بعمله،فإن الفضل من الله وإليه وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ[النحل:٥٣].

ومن كان معجَباً بنفسه فقد عرّضها للهلاك والخسران المبين!

قال صلى الله عليه وسلم :" ثلاثٌ منجِيات، وثلاثٌ مهلِكات، فأما المنجِيات: فتقوى الله في السر والعلانية، والقولُ بالحق في الرضا والسخط، والقصدُ في الغنى والفقر، وأما المهلِكات: فهوىً متَّبَع، وشحٌّ مُطاع، وإعجابُ المرء بنفسه، وهي أشدُّهنَّ "[40].

وهلاكُ المصاب بالعُجب خِذلانُ الله إيّاه .قال أبو حامد الغزالي :"ومن آفات العُجْب أنه يَحجِبُ عن التوفيق والتأييد من الله تعالى، فإن المُعْجَب مخذولٌ، فإذا انقطع عن العبد التأييد والتوفيق فما أسرع ما يَهلك!"[41].

6- اتباع الهوى:

والهوى : اتّباعُ النفس شهواتِها بلا قيدٍ ولا رادع.

وعُرِّف بأنه :" مَيلانُ النفس إلى ما تستلذّه من الشهوات من غير داعية الشرع"[42].

والهوى يهوي بصاحبه في مساخط الله وعقوباته . ذلك أن صاحب الهوى قد قدّم مرغوبات نفسه على أوامر ربّه ، وهذا ينافي وصف العبودية الذي يجب أن يتصف به العبد ، ولأجله خلقه الله.

ومن اتبع هواه فقد حاد عن سبيل الحق كما قال سبحانه : يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ[ص: ٢٦].

(38) انظر : التعريفات ، الجرجاني (ص147) .
(39) انظر : سيرة ابن هشام (2/ 444) ،الروض الأنُف ، السهيلي (7/ 286) ،الفصول في السيرة ، ابن كثير (ص205).

(40) رواه البزار في المسند (13/ 486) ، حديث رقم (7293) ، والطبراني في المعجم الأوسط (5/ 328) ، حديث رقم (5452) ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، والبيهقي في شعب الإيمان (9/ 396)واللفظ له عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، حديث رقم (6865) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (2/ 702) ، حديث رقم (2607) .
(41) نقله عنه المناوي في فيض القدير (3/ 307) ، ولم أجد كلام الغزالي في شيء من كتبه المطبوعة.
(42) انظر : التعريفات (ص257) ، الكليات (ص962) .

ومن جعل هواه قائداً له فهو مخذولٌ لا محالة ، لأنَّ إتّبَاع النفسِ هواها مما يُستجلب به الخِذلان.

قال الفضيل بن عياض:"من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق"[43].

وقال عليُّ بن عبيدة: "العقل والهوى ضدان ،فمؤيدُ العقل التوفيقُ ، وقرينُ الهوى الخذلان"[44].

ومما يدل على خِذلان الله لأصحاب الأهواء قوله تعالى : بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ[الروم: ٢٩].

فاتِّباع الهوى كان سبباً لضلالهم ، وانصرافِ الله عنهم ، وتركِ نصرتهم ، فمن يهديهم وينصرهم من بعد الله ؟!

وقد حكى اللهُ لنا حكاية رجلٍ أوتي علماً وفهماً لآيات الله ، وبلغ به ذلك مبلغاً عظيما ، ثم لمّا سلَّم قيادَ نفسه لهواه هَوى به ، حتى شُبِّه حالُه بأقبحِ تشبيه ، وصُوِّر بأقبح صورة! قال الله تعالى : وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦].

ونزلت هاتان الآيتان - كما ذكر عدد من المفسرين - في رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء، وقيل إنه كانيعلم اسمَ الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب ، فكان لا يسألُ اللهَ شيئًا إلا أعطاه إيّاه![45]

وتأمل قوله تعالى ﴿بيزيم﴾ وهذا يدلّ على أن الله خَذَله فأسلمه لعدوّه ، ثم قال جل شأنه :﴿ئخ ئم ئه﴾، ولكنه تعالى ما شاء ذلك فكان هذا الضال مخذولاً ممقوتاً ، حتى بلغ به الحال مبلغاً قبيحاً من الضلالة والزيغ فقيل : إنه كان ينكح أتاناً له![46] وهو الذي كان فيما مضى على ما سَبق ذكرُه من العلم والفهم! فسبحان مقلِّبِ القلوب ، ونعوذ بالله من الحَور بعد الكَور ، ومن الزيغ بعد الهدى.

7- الإعراض عن ذكر الله ، ونسيان آياته :

وسنةُ الله أنَّ من أقبلَ على الله أقبلَ اللهُ عليه ، ومن أعرض عنه ونأى عن آياته تركَه وخذلَه . وإقبالُه تعالى على عبده من تمام فضله ،كما أنَّ إعراضَه عنه من كمال عدله.

ومما يدلّ على ذلك قول الله تعالى : الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ[التوبة: ٦٧].

وأعظم الخِذلان - كما سبق - خِذلان الآخرة ، حين يوافُون ربَّهم فيُعرِض عنهم وينساهم ، جزاءَ إعراضهم عنه في الدنيا فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[السجدة: ١٤].

ومن تركَ ذكرَربّه ، ولم يرعوِ عن غيّه لمواعظِ آياته ، وزواجرِ كلامِه ؛ عُوقبَ يوم أن يلقى الله بأن يحشره أعمى ، يتخبّط في ظلمات يوم القيامة ، كما قال جل جلاله : وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى[طه:124 – ١٢٦].

أجل ؛ نسيَهُ اللهُ وخذلَه ، لأنه نسي اللهَ في الدنيا ، وقد جاءته آياتُه واضحاتٍ جليّات ، فكان الجزاء من جنس العمل. ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ[الحج: ١٠].

ويدخل في الإعراض عن ذكر الله وآياته الإعراضُ عن مجالسِ ذكره تعالى والصالحين من عباده ،ولهذا نهى اللهُ رسولَه عن مفارقة أهل ذكره ، مع أنه أتقى خلقِه وأشرفُ أوليائِه ،فقال: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا[الكهف: ٢٨].

(43) انظر : روضة المحبين ، ابن القيم (ص479).
(44) انظر : مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، سبط ابن الجوزي (15/ 353) ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، الماوردي (ص42).
(45) انظر:جامع البيان(257/13)،تفسير ابن أبي حاتم (1617/5)،معالم التنزيل (301/3)، زاد المسير(2/ 169).
(46) انظر:جامع البيان(13/ 258)،تفسير ابن كثير (3/ 508) .

كل ذلك لأن المعرِضَ عن مجالس الصالحين محرومٌ من إدراك نوالِ الله وعطاياهُلأوليائه ، كما أنّ المقبل عليها حريٌّ بكريم إحسانه ، وجزيل فضله.

وفي حديث النفر الثلاثة الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد والناس معه ما يدلُّ على هذا المعنى ، حيث أقبل اثنان من هؤلاء الثلاثة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، فأمّا أحد الاثنين فرأى فُرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أمّا أحدهم فآوى إلى الله فآواهُالله، وأما الآخرُ فاستحيا فاستحيا الله منه،وأمّا الآخرُ فأَعرَضَفأعرضَ اللهُ عنه!"[47].

قال القاضي عياض في معنى " أعرضَ اللهُ عنه " :"أي: لم يرحمه ، وسخط عليه"[48].

8-التَّعلُّق بغيرالله عزوجل:

وتلك - لَعمرُ اللهِ – هي الباقعة! إذْ كيفَ يتعلّقُ مخلوقٌ بمخلوقٍ مثلِه ، لا يملك لنفسه- فضلاً عن غيره - موتاً ولا حياةً ولا نشوراً؟!

إن التعلُّق بالله وحده هو مِن كمال الكَياسة ، ومِن جليل نعم الله على عبده ، لأن من أسلمَ قلبه لربّه كفاه الله ما أهمَّه ، وفتح عليه من بركات الأرض والسماء .

ومن تعلَّق قلبُه بمهازيل البشر ، أو أيّ قوّة غير قوّة الله ، وكَلَه الله إلى من تعلّق به ، فعاش تعيساً كئيباً ، لم يربح دنياه ، ولا سلِمَتْ له أُخراه ، وذلك هو الخِذلان المبين.

قال صلى الله عليه وسلم :"من تعلَّق شيئا وكل إليه"[49].

ولفظ " من تعلَّق شيئا " الوارد في الحديث عامٌّ يشمل تعليق المحسوسات كالتمائم ، وتعليق القلب بغير الله. والتعلّق يكون بالقلب وبالفعل ، ويكون بهما[50].

ومن تعلّقت نفسُه بمخلوقٍغير الله وكَلَه الله إليه[51].

قال ابن القيّم : "فأعظمُ النَّاس خِذلاناً مَن تعلَّق بغير الله، فإنَّ ما فاتَه مِن مصالحه وسعادته وفلاحه أعظمُ ممَّا حصل له ممَّن تعلَّق به، وهو معرَّضٌ للزَّوال والفوات. ومَثلُ المتعلِّق بغير الله كمثل المستظلِّ مِن الحرِّ والبرد ببيت العنكبوت ، وأوهنِ البيوت!"[52]

ولمّا ذكر الله تعالى تعلّق قلوب المشركين بآلهتهم المزعومة التي كانوا يرجون نفعها ، ويطمعون في نصرها بيّن كيف حصل لهم الخِذلان ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا. قال سبحانه : وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (74) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ[يس: ٧٤ – ٧٥].

وقد أشار الرازي إلى معنىً لطيف في هذه الآية بعد أن حكى أحد الأقوال في بيان الضمير في قوله**ﭐمى ثي** بر **بز**وأنه عائدٌ إلى الآلهة ، والمعنى : أن هذه الآلهة لا تستطيع نصرة أوليائها الذين يعبدونها ، مع أنهافي غاية التأهب لنصرة أوليائها ، كحال الجند المحضرين للدفاع والحماية ، ومع كل ذلك إلا أن تلك الآلهة عاجزةٌعن نصرتهم ، مما يدل على غاية العجز والضعف التي بلغتها[53].

وقد يصل خِذلانُ الله لعبده الذي علّق قلبَه بغيره أن يُسلِّط الله عليه مَن كان يؤمّل نصرتَه وعونَه ،فيكون سبباً في إيذائه والإضرار به! قال تعالى: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا

(47) رواه البخاري ،كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس،(24/1) حديث رقم (66). ومسلم، كتاب السلام ، باب من أتى مجلسا فوجد فرجة ، (1713/4) حديث رقم (2176) عن أبي واقد الليثي- رضي الله عنه .

(48)إكمال المعلم بفوائد مسلم ، القاضي عياض (7/ 67). وانظر :شرح النووي على مسلم (14/ 159).

(49) رواه أحمد في المسند(31/ 77) ، حديث رقم (18781) ، والترمذي ، كتاب الطب ، باب ما جاءفي كراهية التعليق ، (403/4) حديث رقم (2072) ، والحاكم في المستدرك (241/4) ، حديث رقم (7503) ، والبيهقي في السنن الكبرى (590/9)،حديث رقم (19611) عن عبد الله بن عكيم.وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (3/ 348) ، حديث رقم(3456).

(50) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبدالرحمن بن حسن (ص129). وانظر أيضاً تقسيم الشيخ ابن عثيمين لأنواع التعلق في : القول المفيد على كتاب التوحيد (1/ 183).

(51) انظر : التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي (2/ 411).

(52)مدارج السالكين (1/ 455) .

(53) انظر : مفاتيح الغيب (26/ 307).

(81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿مريم: ٨١ – ٨٢].

قيل في تفسير ﴿تؤزهم أزا﴾ أي : أعداءً ، وقيل : أعواناً عليهم ، وقيل : بلاء عليهم ، وقيل : قرناء يتبرأ بعضهم من بعض ، ويلعن بعضهم بعضا ، وكلها أقوال متقاربة[54].

وحين جاء الطوفانُ قومَ نوحٍ نادى نبيُّ الله نوحٌ ابنَه متلطِّفاً إليه ، مشفقاً عليه وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ[هود: ٤٢].ولمّا لم يكنْ هذا الابنُ الضالُّ على هدىً من الله ، ولا تعلُّقٍ به ، واعتصامٍ بحبله ، كان انجفالُه إلى قوّة ماديّة ظنَّها ستحميه من بأس الله فقال ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[هود: ٤٣].

9- نسبةُ الفضل لغير الله ، أو كفرانُ نعمته:

ومن أقبحِ السجايا وأَلأَمِ الخلال أن يُنسى فضلُ ذي الفضل ، أو يُنسب الفضلُ إلى غير أهلِه ، فكيف إذا كان صاحبُ الفضل هو الذي لا يأتي الخيرُ إلا منه ، ولا يُصرَف الشرُّ إلا بإذنه تبارك وتعالى؟!

إنّ كل نعمةٍ بالعبد فهي من الله ، وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ[النحل: ٥٣]، ومع ذلك فأكثر الناس لا يشكرون ، وقليلٌ من عباد اللهِ الشكور!

ومتى نَسبَ العبدُ الخيرَ الذي هو فيه لنفسه ، أو لغيره من الخلق متناسياً فضلَ الله عليه ، جاحداً لمعروفه ومِنَّتِه ؛ فقد عرّض نفسه للعقوبة ، واستحقّ الخِذلان من ربّه!

ولمّا أنعم الله على قارون بنعمةِ المال الذي تكاثَرَ وامتلأت به خزائنه ، حتى إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[القصص: ٧٦]، لم يَعرِف حقَّ الله فيه ، ولا نسب الخير الذي أنعم اللهُ به عليه لمولاه ؛ بل قال : قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ[القصص: ٧٨] ، هكذا بكل صفاقةٍ!

ولذلك خذله اللهُ خِذلاناً مبيناً ، وأذاقه وبيلَ عذابه ، فلم ينفعه مالُه الذي اكتنزه ، ولا عِلمُه الذي زعمَه!فكان جزاؤه أن خسفَ الله به الأرض،فهو يتجلجلُ فيها إلى يوم القيامة![55]كما قال الله: فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ، وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[القصص: ٨١ – ٨٢].

إن جحودَ نعمةِ الله وكفرانَ نعمته مؤذِنٌ بحلول العذاب ، ونزولِ العقاب ، وحينها فلن يملك العبادُ من أمرهم شيئاً ، ولن يستجيب اللهُ دعاءهم وجُؤارهم ، وياله من خِذلان!

قال سبحانه : وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ، ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ، لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٥٣ – ٥٥].

وقد حذرنا الله في آيات كثيرة في كتابه الكريم من كفران نعمته ، وجحود فضله ، كما في قوله تعالى: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ي : جاحداًلنعمربه[56] ، ثم يأتي التهديد والتخويف للعباد: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[الإسراء: ٦٧ – ٦٩].

10- التسويف في التوبة ، والتباطؤ في الاستجابة لأوامر الله :

(54) انظر هذه الأقوال في : جامع البيان(250/18)، تأويلات أهل السنة (258/7) ، النكت والعيون (389/3) ، الهداية الى بلوغ النهاية (7/ 4590).

(55) انظر : جامعالبيان (19/ 632) ، تفسير ابن أبي حاتم (9/ 3020) ،الكشف والبيان (20/ 511) .

(56) انظر :جامعالبيان (497/17) ،الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (291/10) ، فتح القدير ، الشوكاني (3/ 289).

وهذا ليس من صفات المؤمنين ،وهذا لا يعني أنهم لا يخطئون ؛ بل هم كغيرهم ، يذنبون ، ويقع منهم التقصير ، إلا أنهم يسارعون في التوبة ، ويبادرون بالأوبة ، مقرّين بذنوبهم ، مستغفرين ربهم ، مُتْبِعينَ الحسناتِ للسيئات.كما قال جل شأنه عنهم: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ[آل عمران: ١٣٥].

أمّا من يعاقر الذنوب ، ويجترئ على حرمات الله ، ويسوّف في التوبة ، فهو المستحق للخذلان، البعيد عن الرحمن .

قال أبو حامد الغزالي:" فمهما وقع العبد في ذنب، فصار الذنبُنقدًا، والتَّوبةُ نسيئة، كان هذا مِن علامات الخِذلان!"[57].

ولقد أمر الله تعالى عباده بالاستجابة له قبل أن يحلّ بهم عذابُه،وتنزل بهم نقمتُه فقال: اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ[الشورى: ٤٧].

أي : ليس لكم ملجأٌ تتحصّنون فيه ، ولا مُخلِّصٌ فتفزعون إليه ، ولا تقدرون على إنكار شيء مما اقترفته أيديكم ، لأن كل ذلك مدوّنٌ عليكم ، مرصودٌ في صحفكم[58].

وبيّن جلَّ في علاه أن عدم الاستجابة لأوامره ، والتباطؤ في القيام بحقّه يودي بالمرء إلى خِذلان الله له بأن يحول بينه وبين قلبه ، فلا يقدر على التوبة ، ولا يستطيع الانتفاع بآيات الله ، حيث وُجدَ هذا الحائلُ الذي حجب عن قلبه كلَّ خير ، فأصبح يتخبّط في الضلالة ، لا يستطيع الخروج من ظلماتها!يقول الله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ[الأنفال: ٢٤].

ومعنىٰ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ أي : يجعل قلبه ميتاً لا ينتفع بالمواعظ والآيات فيحول بينه وبين التوبة ، ويحول أيضاً بين المرء وما يتمناه من طول العيش والفسحة في الأجل ، فلا يشعر إلا والموتُ يَفجَؤه ، فلا يقدر على التوبة[59].

ومن الخِذلان صرفُ العبد عن الهداية - كما سبق ذكرُه في صور الخذلان -، وسبب ذلك أنه سوَّفَ في قبول الحق ،وتباطأ في الاستجابة لداعي الله . يدلّ على ذلك قوله تعالى: وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ[الأنعام: ١١٠].

قال السعدي:" أي: ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أوَّلَ مرةٍ يأتيهم فيها الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم"[60].

تلك عشَرةٌ كاملة من أسباب الخِذلان ، والمعصومُ من عصمه الله ، وهو المسؤول أن يتمّ علينا ستره ، ويُحسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها ، وينجينا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . إليه المفزَع والملتجأ ، وهو المستعان على كلِّ حال ، ولا حول ولا قوّة إلا به ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،،

أهم النتائج والتوصيات

أهم النتائج :

1- ألفاظ الخذلان في القرآن منها ما هو صريح مباشر ، ومنها ما ليس كذلك.

2- أعظم العقوبات عقوبة الخذلان ،والعقاب بها قد يكون في الدنيا ، وقد يكون في الآخرة.

3- صور الخذلان كثيرة ،بعضها ظاهرٌ جليّ ، وبعضها باطنٌ خفيّ .

4- أسباب الخذلان متعدّدة ،إلا أنها تجتمع في بُعد العبد عن طاعة ربّه،واجترائه على حرماته.

التوصيات :

يوصي الباحث بإتبْاع هذه الدراسة بدراستين أخريين ليكتمل بحث الموضوع من جميع جوانبه :

(57) إحياء علوم الدين(4/ 45).

(58) انظر:تفسير ابن كثير(215/7) ،التحرير والتنوير،ابن عاشور ،(132/25)،التفسير المنير،الزحيلي(25/ 99).

(59) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية (4/ 2784) ، النكت والعيون (2/ 308) ،غرائب التفسير (1/ 438) ، المحرر الوجيز (2/ 514) .

(60)تيسير الكريم الرحمن(ص269).

الأولى : دراسة جانب الخذلان الآخر وهو خذلان البشر بعضهم لبعض من خلال آيات القرآن.

الثانية : دراسة صور التوفيق وأسبابه في آيات القرآن .

قائمة المصادر والمراجع

1- إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت ، 1402هـ 1982م(بدون تفاصيل أخرى) .

2- الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

3- إكمال المعلم بفوائد مسلم ، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، تحقيق: يحيى إسماعيل ،دار الوفاء ، مصر ، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

4- بحر العلوم ،نصر بن محمد السمرقندي ، تحقيق: محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت ، (بدون تفاصيل أخرى) .

5- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

6- تاريخ دمشق ، علي بن الحسن بن عساكر ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م (بدون تفاصيل أخرى) .

7- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٨٤م (بدون تفاصيل أخرى) .

8- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك ، علي بن محمد الماوردي ، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي ، دار النهضة العربية ، بيروت (بدون تفاصيل أخرى) .

9- التسهيل لعلوم التنزيل ،محمد بن أحمد ابن جزي ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ

10- التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق: جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

11- تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي ، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩ هـ

12- تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤١٩ هـ .

13- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دارالفكر العربي، القاهرة (بدون تفاصيل أخرى).

14- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،وهبة بن مصطفى الزحيلي ،دار الفكر المعاصر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ .

15- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م.

16- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

17- التيسير بشرح الجامع الصغير ،عبد الرؤوف بن علي المناوي ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

18- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

19- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار المعرفة ، المغرب ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

20- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، مكتبة السعادة ، القاهرة ،١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

21- حياة الحيوان الكبرى ،محمد الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ

22- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ،محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

23- ذم الهوى ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق : أحمد عبدالسلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1413هـ 1993م.

24- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تحقيق :علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

25- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الطبعة ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

26- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، محمد بن حبان البُستي ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت (بدون تفاصيل أخرى) .

27- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ،محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م(بدون تفاصيل أخرى) .

28- الزهد ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

29- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

30- سراج الملوك ، محمد بن محمد الطرطوشي ، المطبوعات العربية ، مصر ، ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م(بدون تفاصيل أخرى) .

31- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

32- سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق :شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره ، دار الرسالة العالمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

33- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

34- السنن الكبرى ،أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م .

35- السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

36- شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

37- شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

38- صحيح الترغيب والترهيب ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .

39- صفة الصفوة ، عبد الرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق: أحمد بن علي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م(بدون تفاصيل أخرى).

40- صيد الخاطر ،عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ،دار القلم ،دمشق،الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

41- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، الحسن بن محمد النيسابوري ، تحقيق: زكريا عميرات ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ .

42- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ،عبد الرحمن بن حسن التميمي ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ، الطبعة السابعة، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

43- فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ.

44- الفردوس بمأثور الخطاب ،شيرويه بن شهردار الديلميّ ، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

45- الفصول في السيرة ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق : محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ .

46- فيض القدير شرح الجامع الصغير ،عبد الرؤوف بن علي المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

47- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، أبو طالب المكي محمد بن علي بن عطية الحارثي، تحقيق : عاصم إبراهيم الكيالي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م .

48- القول المفيد على كتاب التوحيد ،محمد بن صالح العثيمين ، دار ابن الجوزي، الدمام ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ.

49- كتاب الشكر ، ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد البغدادي ، تحقيق : بدر البدر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

50- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت (بدون تفاصيل أخرى) .

51- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: صلاح باعثمان وآخرين ، دار التفسير ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م .

52- الكشكول ، محمد بن حسين الهمذاني، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م .

53- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت . (بدون تفاصيل أخرى).

54- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ.

55- لطائف الإشارات ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق : إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة الثالثة (بدون تفاصيل أخرى) .

56- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

57- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق :عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ.

58- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، سبط ابن الجوزي يوسف بن قزغلي بن عبد الله ، تحقيق : محمد بركات وآخرين ، دار الرسالة العالمية، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

59- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م .

60- المستطرف في كل فن مستظرف ،محمد بن أحمد الأبشيهي ، تحقيق : مفيد محمد قميح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1986م .

61- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى،١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.

62- مسند البزار = البحر الزخار ، أحمد بن عمرو البزار ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرين ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

63- مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

64- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرين ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ١٩٩٧م.

65- المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق: طارق بن عوض الله - عبدالمحسن الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

66- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠هـ(بدون تفاصيل أخرى) .

67- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت (بدون تفاصيل أخرى).المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم ، يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢م .

68- النكت والعيون ، علي بن محمد الماوردي ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت (بدون تفاصيل أخرى) .

69- النهاية في غريب الحديث والأثر ،المبارك بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ، بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

70- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد القيسي ، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الشارقة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	**4**
المبحث الأول :تعريف الخِذلان وألفاظُه والعقوبةُ به	7
المطلب الأول :تعريف الخِذلان	7
المطلب الثاني : العقوبة بالخِذلان	8
المطلب الثالث :ألفاظ الخِذلان في القرآن	9
المبحث الثاني: صورُ الخِذْلان وعلاماته	11
المبحث الثالث: أسباب الخِذلان	21
أهم النتائج التوصيات	35
فهرس المصادر والمراجع	36
فهرس الموضوعات	41